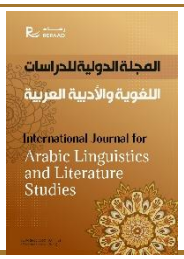
www.refaad.com

International Journal for Arabic Linguistics and Literature Studies (JALLS)
المجلة الدولية للدراسات اللغوية والأدبية العربية
Journal Homepage: https://www.refaad.com/Journal/Index/6
E-ISSN 2663-5860 | P-ISSN 2663-5852
Vol. 8, Issue 1, 2026, pp. 54 - 64



The Image of the City of Gaza in the Novel Gaza: Noah's Resurrection

Ekhlass Nijim Owise[1*], Nader Jom'a Qasem[2]
[1] Department of Arabic Language and Literature, An-Najah National University, Palestine.
[2] Associate Professor of Modern Literature and Criticism, An-Najah National University, Palestine.
[*] Corresponding Author: Ekhlass Owise (ekhlassNijim@gmail.com)

صورة مدينة غزة بين رمزية الموت والحياة في رواية "غزة قيامة نوح"

إخلاص نجم عويسي[1*]، نادر جمعة قاسم[2]
[1] قسم اللغة العربية وآدابها- جامعة النجاح الوطنية- فلسطين.
[2] أستاذ مشارك في الأدب والنقد الحديث- جامعة النجاح الوطنية- فلسطين.
*الباحث المراسل: إخلاص عويسي (ekhlassNijim@gmail.com)

This file is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International

Received استلام البحث	Revised مراجعة البحث	Accepted قبول البحث
2026/2/18	2026/3/13	2026/3/22

DOI: https://doi.org/10.31559/JALLS2026.8.1.5

Abstract:

Objectives: This study aims to examine the symbolism of life and death as embodied in place—specifically the city of Gaza—in the novel Gaza: The Resurrection of Noah by Nasrīn Shahdah Al-Madhoun. It adopts a descriptive-analytical approach to uncover the symbolic and aesthetic dimensions of Gaza as a central narrative space and an active entity in shaping the narrative.

Methods: The study adopts a descriptive-analytical approach by examining textual corpora that depict the spaces of Gaza (both closed and open), then analyzing their symbolic and aesthetic connotations and relating them to the narrative context of war, in order to reveal how real-life tragedy is transformed into an artistic vision that embodies the will to live.

Conclusions: The study concluded that the city of Gaza was not merely a geographical backdrop to the events; rather, it played a profound role in constructing meaning, shaping the trajectory of the characters, and reinforcing Palestinian identity in the face of genocide and displacement.

Keywords: *narrative space; image of the city; Gaza; Palestinian narrative; Nasreen Al-Madhoun.*

الملخص:

الأهداف: تهدف هذه الدراسة إلى دراسة رمزية الحياة والموت للمكان ولمدينة غزة في رواية "غزة قيامة نوح" للكاتبة "نسرين شحدة المدهون"، من خلال مقاربة وصفية تحليلية تسعى إلى الكشف عن الدلالات الرمزية والجمالية لمدينة غزة بوصفها فضاءً روائيًا مركزيًا وشخصية فاعلة في تشكيل السرد.

المنهجية: اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي؛ وذلك من خلال رصد المتون النصية التي تصف أمكنة غزة (المغلقة والمفتوحة)، ثم تحليل دلالاتها الرمزية والجمالية وربطها بالسياق السردي للحرب، للكشف عن كيفية تحويل المأساة الواقعية إلى رؤية فنية تجسد إرادة الحياة.

الخلاصة: خلصت الدراسة إلى أن مدينة غزة لم تكن مجرد خلفية جغرافية للأحداث، بل أسهمت بعمق في بناء المعنى، وتوجيه مسار الشخصيات، وترسيخ الهوية الفلسطينية في مواجهة الإبادة والاقتلاع.

الكلمات المفتاحية: *المكان الروائي؛ رمزية الحياة والموت؛ صورة المدينة؛ غزة؛ السرد الفلسطيني؛ نسرين المدهون.*

الاستشهاد

Citation

عويسي، إخلاص، قاسم، نادر. (2026). صورة مدينة غزة بين رمزية الموت والحياة في رواية "غزة قيامة نوح". *المجلة الدولية للدراسات اللغوية والأدبية العربية*، 8 (1)، 54-53.

Owise, E. N., & Qasem, N. J. (2026). The Image of the City of Gaza in the Novel Gaza: Noah's Resurrection. *International Journal for Arabic Linguistics and Literature Studies*, 8 (1), 54-53. https://doi.org/10.31559/JALLS2026.8.1.5 [In Arabic]

المقدمة:

يمثل المكان الإطار العام الذي تقع فيه الأحداث الدائرة في العمل الروائي؛ كونه يلعب دورًا بالغ الأهمية في إبراز سياق الأحداث والتفاعلات بين العناصر الروائية في العمل وفهمها، ما يعني أنه يمثل محورًا مركزيًا لتعزيز قدرة العمل الفني على إيصال الرسالة الفنية وما تتضمنه من معان ورموز ودلالات، وإظهارها أكثر جاذبية وعمقًا، فهو يسهم في خلق الجو الملائم الذي يدفع بعجلة العمل إلى التأثير بقوة في نفس المتلقي.

إنّ دراسة صورة المدينة في الرواية العربية ليست مجرد قراءة للمكان، وإنما هي قراءة للإنسان عبر المكان. فالمدينة في الكثير من النصوص الحديثة تتحول إلى شخصية، أو رمز، أو مسرح يُعيد إنتاج العلاقات الاجتماعية والنفسية. ومن هنا جاءت فكرة الدراسة المعنونة بـ"صورة مدينة غزة في رواية غزة قيامة نوح" للكاتبة "نسرين المدهون".

مشكلة الدراسة:

تتمثل إشكالية الدراسة في الكشف عن الأدوات التي تشكلت منها صورة المدينة غزة، في رواية "غزة قيامة نوح". وقد انبثق عن هذه الإشكالية التساؤلات الآتية:

- لماذا ركزت المدهون في روايتها على تصوير مدينة غزة ماديًا ونفسيًا وروحيًا؟
- كيف تجلى حضور مدينة غزة في رواية "غزة قيامة نوح"؟
- ما رمزية مدينة غزة في رواية "غزة قيامة نوح"؟
- كيف جعلت المدهون مدينة غزة حية متجددة في ذهن المتلقي؟

أهداف الدراسة:

- الوقوف على صورة مدينة غزة في رواية "غزة قيامة نوح" خلال الحرب على غزة بعد السابع من أكتوبر من العام 2023.
- فهم دور مدينة غزة في تعزيز الصمود والهوية الفلسطينية.
- دراسة رمزية مدينة غزة في رواية "غزة قيامة نوح" كونها مدينة تعرضت للإبادة الجماعية خلال الحرب.

فرضية الدراسة:

فيما تنطلق الدراسة من فرضية مفادها أن المكان في رواية (غزة قيامة نوح) لم يعد مجرد حيز جغرافي ساكن، بل تحول إلى 'كائن سردي' فاعل يمارس المقاومة من خلال ثنائية الموت والانبعاث. كما تفترض الدراسة أن النص الروائي نجح في تخليد الذاكرة المكانية لمدينة غزة في مواجهة محاولات المحو والإبادة.

أهمية الدراسة:

تحاول هذه الدراسة أن تكون سباقة إلى تناولها رمزية الموت والحياة في رواية "غزة قيامة نوح"؛ فالدراسة تسعى إلى تقديم رمزية الموت والحياة وصورة المدينة في قطاع غزة في رواية "غزة قيامة نوح" إبان الحرب على قطاع غزة بعد السابع من أكتوبر من عام 2023 للكاتبة "نسرين المدهون"، ما يسهم في تعزيز فهم المتلقي للأحداث بصورة أكثر عمقًا ودراية؛ كونها تتناول فضاء له مكانته ورمزيته البارزة في وجدان الأمة وتاريخها وهويتها...

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي؛ وذلك من خلال رصد المتون النصية التي تصف أمكنة غزة (المغلقة والمفتوحة)، ثم تحليل دلالاتها الرمزية والجمالية وربطها بالسياق السردي للحرب، للكشف عن كيفية تحويل المأساة الواقعية إلى رؤية فنية تجسد إرادة الحياة.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والاطلاع تبين للباحثة عدم وجود دراسات تتحدث عن رمزية الموت والحياة في رواية "غزة قيامة نوح" للكاتبة "نسرين المدهون"، أما من حيث موضوع الدراسة، فقد كثرت الدراسات التي تناولت المكان في الفن الروائي، منها على سبيل المثال لا الحصر الآتي:

- صورة المدينة في رواية "حارسة الظلال" لواسيني الأعرج.
- جماليات المكان في رواية "خر حقول التبغ" لظاهر الزهراني.
- المكان في رواية "أموت في متحف الأحياء" لشاكر الأنباري.
- غزّة في الرّواية الفلسطينيّة ما بين 2007-2021م، "نماذج مختارة"، لأحلام مازن عبد العزيز بكري - أطروحة دكتوراه.

أمّا ما تفرّدت به هذه الدراسة، فالابتعاد عن الوصف السطحي للأحداث، والتركيز على صورة المدينة، وأدوات تحويلها من مجرد خلفية للأحداث إلى بطل فاعل في الرواية.

كما تضيف إلى المكتبة النقدية الفلسطينية دراسة نقدية معاصرة تعالج التحولات الكبرى في مدينة غزة التي تئنّ تحت الحصار والعدوان.

وتركز هذه الدراسة حصريًا على دراسة جماليات المكان وصورة غزة، مدينةً، في رواية "غزة قيامة نوح" على وجه الخصوص.

خطة الدراسة:

اقتضت طبيعة الدراسة تقسيمها إلى أربعة مباحث، تناول المبحث الأول وهو بعنوان "مفهوم المكان وأهميته" مصطلح المكان في اللغة والاصطلاح، وفي الأدب الروائي، وأهمية المكان في الفن الروائي، فيما قدّم المبحث الثاني مدينة غزة رمزا للمعاناة والضياع، أما المبحث الثالث فعرَض مدينة غزة رمزًا للأمل والحلم، فيما أتى المبحث الرابع على تقاطبات المكان في رواية "غزة قيامة نوح"، سبق ذلك كله مقدمة توضح ماهية الدراسة وأقسامها ومنهجها والدراسات السابقة المتعلقة بمضمون موضوع الدراسة، وانتهت بخاتمة أبانت عن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، ثم التوصيات.

المبحث الأول: مفهوم المكان وأهميته

يتحدث هذا المبحث عن مفهوم المكان لغة واصطلاحًا، وفي الاصطلاح الروائي، ثم عن أهميته في العمل الروائي، على النحو الآتي:

المطلب الأول: مفهوم المكان في اللغة

قال تعالى في سورة مريم: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦﴾ [مَرْيَم الآية 16]. ويعد المكان من الألفاظ كثيرة التداول في اللسان العربي، فقد ورد في المعاجم اللغوية كثيرًا، وبمعانٍ ودلالات عديدة. جاء في لسان العرب: «المكان هو الموضع، والجمع أماكن... والمكانة المنزلة يقال: فلان مكين عند فلان بين المكانة، والمكانة الموضع» (ابن منظور، صفحة 136). وعليه فإن لفظ المكان لم يخرج في دلالته اللغوية عن معنى الموضع والمنزلة.

المطلب الثاني: مفهوم المكان في الاصطلاح

لقد حظي مصطلح المكان بالعديد من الدراسات؛ لأهميته وأثره في الحياة، سواء للإنسان أو لغيره. فالمكان في فكر "لوتمان" حقيقة معيشة تؤثر في النفس البشرية بالقدر الذي تؤثر فيه، فلا يوجد مكان فارغ أو سلبي. ويفرض المكان على الناس الذين يقيمون فيه سلوكا خاصا، والطريقة التي يدرك بها المكان تضفي عليه دلالات خاصة؛ كون المكان يجمل قيما تنتج عبر التنظيم المعياري، كما تنتج من التنظيم الاجتماعي (قاسم، 2004، صفحة 83). وبهذا يفرض المكان خصوصية وطقوسًا خاصة على المقيمين فيه، وهو خاضع لتلك القواعد والقوانين التي تُفرض عليه.

المطلب الثالث: المكان في الاصطلاح الأدبي

ولأهمية المكان في العمل الروائي، فقد حرص الكاتب الروائي على الاهتمام بعنصر المكان وعلاقته ببقية العناصر الروائية؛ فللمكان في الأدب الروائي علاقة وثيقة بالعناصر السردية الأخرى، ونال حظوة كبيرة في الدراسات النقدية ذات الصلة، لذا كثرت التعريفات التي تناولت المكان. ففي تعريفه للمكان يقول لحيمداني: «هو الذي يؤسس الحكي في معظم الأحيان؛ لأنه يجعل القصة فضاءً متخيلًا ذا مظهر مماثل لمظهر الحقيقة» (لحميداني، 1991، صفحة 65)

وعرّفه مرتاض بقوله: «كل فضاء هو كل ممتدٍّ، سواء أكان حيزًا جغرافيًا حقيقيًا أم أسطوريًا، وكل ما يندرج على المكان من أحجام محسوسة، والأشياء الجسيمة مثل الأشجار والأنهار، وما يجسد هذه العناصر الحيزية من حركة أو تغيير» (مرتاض، 1998، صفحة 121). وذهب بوعزة إلى أنه «لا يمكن تصور حكاية دون مكان وزمان معينين، إذ كل حدث يأخذ وجوده في حيز مكاني وزماني محددين» (بوعزة، 2010، صفحة 99). وعرّفه بدري بأنه «بناء لغوي يشيده خيال الروائي، والطابع اللفظي فيه يجعله يتضمن كل المشاعر والتصورات التي تستطيع اللغة التعبير عنها» (عثمان، 1986، صفحة 94).

وترى الباحثة أن المكان في الرواية لا يمثل الشكل الخارجي حسب، إنما يتجاوز ذلك ليكون أداة دلالية ذات أبعاد رمزية، تسهم في تعميق المعنى داخل العمل الروائي.

المطلب الرابع: أهمية المكان في العمل الروائي

لأن المكان أحد عناصر العمل الروائي ذات الأبعاد المتداخلة، فإنه يتميز بوظائف تتحكم في إطار الحدث، ويساعد على فهم التخيل وتصور الأمكنة التي يعرضها الروائي داخل النص (بحراوي، 2009، صفحة 27). ويرى بحراوي أن «المكان الروائي لا يعيش منعزلًا عن باقي عناصر السرد، وإنما يدخل في علاقات متعددة مع المكونات الحكائية الأخرى» (بحراوي، 2009، صفحة 27). كما يسمح المكان برسم حركة الشخصيات، وتتكامل ثنائية الزمان والمكان لتنظيم حركة الأحداث داخل الحيز الروائي (عاشور، 2010، صفحة 30). وعليه، فإن المكان في الرواية الحديثة لم يعد مجرد إطار للأحداث، بل غدا جزءًا من الحدث ذاته ووسيلة فاعلة في تشكيله (النصير، 1980، الصفحات 17-18).

المبحث الثاني: مدينة غزة رمز للمعاناة والضياع

يتناول هذا المبحث صورة مدينة غزة في رواية "غزة قيامة نوح"، بوصفها رمزًا محوريًا ومعقداً يعكس رؤية الكاتبة الفلسفية والفكرية لمدينة غزة إبان الحرب بعد السابع من أكتوبر من عام 2023. إن المتتبع لرواية غزة قيامة نوح يستطيع استقراء صورة مدينة غزة التي سعت الكاتبة من خلالها إلى تقديم رؤية واعية عن أحداث الحرب ومجرياتها في قطاع غزة عبر المواءمة بين الواقع والخيال، وقد قسّمت الباحثة المبحث إلى مطالب على النحو الآتي:

المطلب الأول: مدينة غزة رمز الموت

في هذا المطلب ترسم الكاتبة صورة غزة التي كانت تعج بالحياة والضجيج رمزًا للموت الذي سكن كل زاوية فيها، فقد أتى القصف الغاشم على مرافقها العامة، وظهر ذلك جليًا في حديثها عن صورة مشفى الشفاء الذي طالته آلات الحرب، فتحولت صورة المستشفى من مكان يهب النجاة والحياة لكل من تطأ قدمه أرضه طلبًا للعلاج، إلى مصيدة للموت والقتل، فتقول: «قبل أربعة أشهر، كان هذا القسم يستقبل المرضى على مدار الساعة، كان يعج بأصوات الأدوات، هنا كانت غرفة تصوير الأشعة السينية، وهنا كانت غرفة الإنعاش، أما هناك فكانت غرفة العمليات الصغرى، وفي هذا الاتجاه كانت غرفة جبر الكسور، وهناك، أجل هناك كانت غرفة أطباء الاستقبال، وهنا كانت غرفة استخراج التذاكر، كانت الأسِرّة ممتدة على طول القسم وعرضه، أين ذهب هذا كله؟؟؟؟!!!! لم يعد يُرى منه شيء، لم أعد أميز ملامح وجه المكان... لقد مزقت الصواريخ والقذائف القسم بما يضمه وحولته إلى أطلال دامية» (المدهون، 2025، الصفحات 109-110). يعتمد هذا المقطع على الوصف المكاني ليكون مرآةً للكارثة الإنسانية في غزة، حيث تختار الكاتبة المستشفى، ذلك الفضاء الذي يفترض أن يحتضن الحياة والشفاء، ليصبح شاهدًا على الموت والدمار. تنسج الساردة تفاصيل المكان بتقنية التعداد الدقيق: غرفة تصوير الأشعة، غرفة الإنعاش، غرفة العمليات الصغرى، غرفة جبر الكسور، غرفة أطباء الاستقبال، غرفة استخراج التذاكر... كل تفصيل يرسّخ في الذهن صورة المكان كما كان، ويزيد من وقع التحوّل القاسي الذي سيحدث لاحقًا. يضفي البعد الزمني على المشهد، من خلال عبارة «قبل أربعة أشهر»، إحساسًا بالحداثة والراهنية، فيتضاعف وقع الصدمة على المتلقي، بينما البعد الحسي- أصوات الأدوات، الأسرة الممتدة على طول القسم وعرضه- ينبض بالحياة قبل أن تتلاشى تحت وطأة العنف. وتبلغ اللغة ذروتها العاطفية عند التساؤل المدوّي: «أين ذهب هذا كله؟؟؟!!!!»، سؤال لا ينتظر جوابًا، بل يعكس العجز أمام حجم الفقد، قبل أن يتحول المكان إلى كائن حي في قول الساردة: «لم أعد أميز ملامح وجه المكان»، فيكتسب المكان صفات إنسانية، ويصبح شريكًا في المعاناة لا مجرد خلفية للأحداث. ثم تأتي الصورة الختامية المكثفة والعنيفة: «حولته إلى أطلال دامية»، حيث يلتقي الخراب المادي بالنزيف الإنساني، ليصبح ما دُمّر أكثر من حجر؛ إنه منظومة الحياة بأكملها. هنا، يصبح المستشفى نموذجًا مصغرًا لمدينة غزة: مدينة كانت تنبض بالحياة، فجاء العدوان ليقلبها إلى فضاء للخراب والموت، دون أن تفقد قدرتها على الشهادة والتذكير.

المطلب الثاني: مدينة غزة رمز للخوف والحزن

ووفق رؤية لحميداني فإن المكان وتواتره يخلق فضاء شبيها بالفضاء الواقعي، وكلاهما يعمل على دمج الحكي في نطاق المحتمل (لحميداني، 1991، صفحة 65)، كما في المقطع الذي وصفت فيه المدهون مدينة غزة التي تحولت تدريجيًا إلى مدينة موتى، حيث تقول: «المدينة تتحول تدريجيًا الى مدينة موتى بعد أن كانت تدق الحياة ضجيجًا، ترتدي ثوب الصمت الحزين، صوت الألم المتكدس والوجه الواجم والبيوت المتهاوية والبنايات يسكنها الوجع والدماء وشظايا الصواريخ، قلة أولئك الذين تحاملوا وكابروا على الخوف وظلوا يتراكضون بين أزقتها بعد أن تحولت إلى ملاجئ للأشباح هربًا من الموت الذي ظل طيفه يراودهم عن أرواحهم ويتحين الفرصة لينقض عليهم» (المدهون، 2025، صفحة 93)، يعرض المقطع تحوّل المدينة من فضاء نابض بالحياة إلى مدينة موتى، مرتدية ثوب الصمت، ليعكس أثر الكارثة الإنسانية على المكان وسكانه. توظف الكاتبة وصفًا دقيقًا للأصوات، الوجوه، والهياكل العمرانية المتضررة، ما يحوّل المدينة إلى كائن حي يعكس الفاجعة. ويبرز التباين بين القلة التي تحدّت الخوف وبين المدينة المملوءة بالموت، مؤكدًا الهيمنة الرمزية للدمار على الحياة. يعتمد الوصف على منهجية تحليلية تجمع البعد المكاني والزمني والحسي، ليؤسس لفهم شامل لتأثير الصراعات على الفضاءات الحضرية، ويجعل النص نموذجًا أكاديميًا لتوظيف السرد الوصفي في النصوص الروائية المعاصرة..

يعد المقطع السالف تعبيرا عن تحول جذري في المشهد الغزّي، فقد تحولت المدينة من مكان مفعم بالحياة إلى منطقة منكوبة. هذا التحوّل ليس مجرد وصف للدمار، بل هو تصوير لعملية محو شكل المدينة السابق، مقطع يجسّد لوحة سردية شاعرية- مأساوية، تصف فيها الكاتبة مشهديْ الخوف والحزن اللذيْن سيطرا على الناس، لكنها لا تكتفي بالوصف؛ بل تشكل المزاجية لتقرر التحوّل في هوية المدينة التي باتت مدينة تملّكها الخوف والحزن.

لقد اعتمدت الكاتبة على التشخيص، وعلى المفردات التي تتواصل بين الحسي والوجداني. إن رسم صورة مدينة غزة عبر ذكر أدق تفاصيلها يسهم في الكشف عن حجم الخوف والحزن اللّذيْن خيّمَا على سكان مدينة غزة بكافة أطيافها، كما يعمل على فضح الجرائم التي ارتكبها العدو في حق المدينة وساكنيها، ويرسم صورة حياة الناس في مدينة غزة، تقول الكاتبة: «فقد أصبحت غزة علبة كبريت متخمة بالهموم والأوجاع، لقد اجتمع عليهم لهيب الحرب، ولهيب الصيف الآبي، ولهيب الفقر والجوع، ولهيب الحزن والحسرة، لقد أصبحوا محاصرين بين فكّي تمساح جائع ضاري» (المدهون، 2025، صفحة 245)، فهذا الوصف للمدينة ما جاء إلا لتقديم صورة واقعية عن مجريات الحرب على غزة ويقودنا إلى معرفة الأحداث والكشف عن أبعادها الحالية والمستقبلية، وعن العدوانية المفرطة التي مارسها العدو ضدّ مدينة غزة وأهلها، كما يُظهِر الحالة النفسية التي يعيشها سكان المدينة في الحرب.

لا شك أن تتبع تفاصيل المكان يسهم بالضرورة في الكشف عن أهوال الحرب وما خلّفته من مشاعر الوجع والأسى والخوف والترويع والهلع. يستعين المقطع بالاستعارة المكثفة لتصوير غزة على أنّها «علبة كبريت متخمة بالهموم والأوجاع»، مجسدًا الضغط النفسي والاجتماعي المتراكم على السكان. وتكرّر الكاتبة لفظ اللّهيب، «لهيب الحرب، ولهيب الصيف الآبي، ولهيب الفقر والجوع، ولهيب الحزن والحسرة»؛ لتكثيف أبعاد المعاناة الاجتماعية والاقتصادية والنفسية،(يمكن هنا تعميق دلالة التكرار) بينما تعكس عبارة «محاصرين بين فكّي تمساح جائع ضاري» شعور السكان بالحصار والتهديد المستمر.

يقوم النص على تقنية وصفية تحليلية تجمع البعد الرمزي، المكاني، والانفعالي، ما يجعله نموذجًا أكاديميًا لتوظيف السرد الوصفي في دراسة آثار الصراعات المسلحة على الفضاءات الحضرية وسكانها.

المطلب الثالث: مدينة غزة رمز للدمار والخراب

لقد عمدت المدهون إلى وصف المكان، فشيّدت الرواية على تصوير مدينة غزة في لوحة ناطقة عن حجم الدمار والخراب الذي حلَّ في المدينة، فعنيت بوصف الشوارع كما في المقطع الآتي: «لا يمكن للسيارة أن تسير في هذه الشوارع، ألا ترين الحفر التي أحدثتها الصواريخ والقذائف، لقد أضحت وعرة لا تصلح حتى للمشاة، فكيف للسيارة، لقد طمست معالم الشوارع بالكامل» (المدهون، 2025، صفحة 105)، هنا، تتحول الطرق إلى جسدٍ محطم يروي صمت الخراب، والمكان نفسه يصبح مرآة للمعاناة الإنسانية، حيث تتوقف الحياة اليومية وتتبدد الرتابة. إن هذا الدمار ليس مجرد فقدان للبنية المادية، بل رمزا لتفكك الأمان وانكسار الروح المجتمعية، وكأن المدينة نفسها صارت نصًا مفتوحًا على الأسى والغياب.

وكما في حديثها عن آثار الدمار لمستشفى الشفاء حيث تقول: «أخذ الطبيب بالبكاء، لم ير شيئا، دمروا قتلوا نسفوا فجروا، لم يسلم من جرمهم لا بشر ولا حجر ولا حتى أجهزة، إنهم تتار هذا العصر» (المدهون، 2025، صفحة 107)، اعتمد المقطع على وصف قسوة المشهد وفظاعته من خلال وصف المشهد فيعيد صياغة الواقع عبر لغة مقتضبة وحارقة؛ فاستهلال المشهد بانكسار (الطبيب) -بوصفه رمزًا للثبات والعقلانية-، يمنح القارئ صك الدخول إلى منطقة اللامعقول. وقد ارتكز النص على تلاحق صور الدمار تكرارها عبر تتابع أفعال الإبادة (دمروا، قتلوا، نسفوا..)، ليخلق إيقاعًا جنائزيًا يتساوى فيه البشر مع الحجر والأداة التقنية، في دلالة على شمولية المحو. ويختتم النص دائرته الدلالية بـ (التناص التاريخي) مع صورة التتار، ليخرج الجريمة من حيزها اللحظي إلى أفقها الرمزي، بوصفها غزوًا بربريًا يستهدف اقتلاع الحضارة من جذورها، محولًا النص من مجرد وصف لحدث عابر إلى شهادة أنطولوجية على توحش العدو الذي فقد الإنسانية في العصر الحديث.

إن اتكاء الكاتبة في تصوير مدينة غزة على وصف أماكنها المتعددة لم يكن مجرد ترف لغوي أو تزيين بلاغي للنص، إنما تعدى الأمر ذلك ليؤدي وظيفة تشكيل المفردات، ورسم لوحة حية ناطقة لما أنزلته الحرب في قطاع غزة، ما يزيح اللثام عن حالة الخراب التي طالته. فالوصف وسيلة لتقديم صورة قاتمة لمدينة غزة، وهو أداة المدهون لتصوير المكان بأبعاده المختلفة والمتعددة لكشف جرائم العدو، وتسليط الضوء على ما عاشته المدينة خلال الحرب وبعدها.

المطلب الرابع: مدينة غزة رمز للأوضاع الاجتماعية

تستمر الكاتبة في الوصف وتصوير الأوضاع الاجتماعية التي يعيشها سكان مدينة غزة المتداخلة؛ لترسم لوحة تتكلم عمّا أصاب المدينة. وقد حرصت من خلال المكان على توصيف ذلك كله إبان الحرب، تقول: «إنه أول أيام عيد الأضحى المبارك، كانت زوجة صهيب منهمكة في المطبخ تعد الشاي وترتب أطباق الكعك والمعمول التي صنعتها في المنزل، كانت ربات البيوت يبحثن عن مساحة ولو ضيقة عن فسحة فرح يهدينها لأولادهنّ، كنَّ يهربن من الموت برائحة الكعك والمعمول الغزي المميز، وكان الحي السعودي أكثر المناطق احتفالًا بالعيد» (المدهون، 2025، صفحة 226)، ينفتح النص على مفارقة وجودية حادة بين (زمن العيد) بوصفه ميقاتًا للفرح، وواقع (الموت) الجاثم، حيث تتجلى صورة (زوجة صهيب) وربات البيوت فاعلا دراميًا يقاوم العدم بـ (أنطولوجيا الرائحة). إن الانهماك في إعداد الكعك والمعمول الغزي ليس طقسًا اجتماعيًا عابرًا، بل هو (فعل مقاومة جمالي) يسعى لاستعادة المساحة المسلوبة، وتحويل المطبخ من حيز ضيق إلى (ملاذٍ هويتي) يواجه سطوة الفناء. يبرز النص ثنائية (الهروب من الموت/ الانحياز للحياة)، حيث تصبح (رائحة الكعك) سياجًا عاطفيًا يحمي الطفولة من الانهيار، بينما يمثل استحضار (الحي السعودي) بكونه بؤرة للاحتفال، محاولةً لتوثيق الجغرافيا في ذاكرة الفرح قبل أن يطالها التغيير. كما يكشف النص عم مفارقة واضحة بين الداخل (البيت) الذي يفوح برائحة الكعك، وبين الخارج (الحرب) الذي يعج بالموت والدمار، إن التركيز على وصف المطبخ والمنزل في ظل الحرب يجسد الصراع بين إرادة البقاء وبين واقع المحو والإبادة الوحشية، فبينما تحاول آلة الحرب في الخارج تغيير معالم المدينة، يصر الناس داخل البيت وعلى وجه الخصوص داخل المطبخ ذاك الفضاء الضيق على توثيق مراسم الفرح بالعيد وشعائره في الذاكرة قبل أن يطالها التغيير، فالناس في غزة رغم كل آلام الموت والفقد قد جعلوا من تفاصيل البيت الصغير أداة للصمود والمقاومة وإثبات الوجود لقد أصبح البيت رمزًا لبقاء الهوية الفلسطينية التي ترفض الانكسار، وتؤكد على أن جذور الفسطيني في بيته وأرضه أ'مق وأقوى من كل محاولات المحو والدمار.

إن النص هنا يتجاوز الوصف السردي ليكون وثيقة سوسيولوجية تُعظّم من قيمة (التفاصيل الصغيرة) في مواجهة الكوارث الكبرى، معلنًا انتصار الإرادة الإنسانية، عبر استحضار طقوس العيد أداةً للثبات الوجودي. فالناس في غزة مع كل ما عاشوه من ألم ووجع وفقد وتجويع وحرمان ظلوا متمسكين بترابطهم الأسري وبهويتهم الثقافية والاجتماعية، وظل من نجا من الموت يرسم الابتسامة والفرحة على وجوه الثكالى والمحرومين والأطفال ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا، فكانت الأمهات يمارسن واجباتهن الأسرية المعتادة، وكان الآباء يشاركون أبناءهم فرائض الدين في الأعياد، فيما كان الأبناء يساندون آباءهم، وكان الأطفال يصارعون الموت باللعب، هكذا كانت غزة في الحرب تحافظ على نسيجها الاجتماعي.

وفي حديثها عن علاقة دينا زوجة أحمد بوالدته التي كانت تهابها وتخشى بطشها تقول: «إنها الحياة بشتى وسائلها وطرائقها، استيقظ من نومه، ارتدى جاكيته الأسود، غسل وجهه بالماء البارد، حمل ابنته ذات الثلاث أشهر، أخذ يداعب وجنتها، يتأمل الطفولة، نظر إلى دينا التي لم تتجاوز الثامنة عشرة من عمرها، هي الأخرى ما زالت طفلة، أدار وجهه باتجاه أمه، يعلم أنها شديدة إلى حد يجعل طفلة كزوجته تهابها، لكنها أمه، اجتمع في قلبه بؤس الحرب وشدة أمه، انقبض صدره، رجفت يداه، اهتزت لمعة عينيه، خفتت ابتسامته حتى غابت عن مبسمه» (المدهون، 2025، صفحة 214)، فالمقطع السابق يرسم صورة من صور النسيج الاجتماعي لمدينة غزة من خلال وصف حياة أسرة منكوبة محاصرة من ويلات الحرب ومن ويلات العلاقات الأسرية المتعددة، يظهر فيها اضطراب المشاعر، فمن جهة العلاقة المتوترة بين دينا ووالدة زوجها أحمد، ومن جهة الحب والأمان الذي تشعر به دينا في وجود

أحمد. كما أنه يشير إلى ثقافة المجتمع السائدة إلى حد كبير وهي عادة الزواج المبكر للفتيات، لقد نجحت الكاتبة في استخدام التحليل النفسي لخلق جو من التساؤلات حول مصير أحمد وعائلته، وعن طبيعة الحياة الاجتماعية لمدينة غزة التي فرضتها الحرب، وعن طبيعة الثقافة الاجتماعية والفكرية للناس في مدينة غزة، يغوص النص في سبر أغوار (اللحظة البينية) التي تسبق العاصفة، حيث يتشكل المشهد عبر (سردية التفاصيل اليومية)-(الجاكيت الأسود، الماء البارد، مداعبة الطفلة) لترسيخ واقعية إنسانية مفرطة في براءتها.

كما تتجلى في المقطع بنية (التوتر العاطفي المركب)؛ فالبطل يقف في برزخ بين طفولتين (ابنته وزوجته دينا)، وسطوة الأم التي ترمز للصلابة والامتداد، ما يخلق صراعًا صامتًا بين (رقة الأبوة) و(ثقل المسؤولية). وينتقل النص ببراعة من الوصف الخارجي للحركة إلى (الارتداد النفسي)؛ فتتحول (رجفة اليد، وخفوت الابتسامة) إلى شيفرات بصرية تُعلن انكسار الروح تحت وطأة (بؤس الحرب). إن النص هنا لا يصف فعلًا دراميًا بقدر ما يصف (انهيارًا داخليًا) متدرجًا، حيث تصبح لمعة العين والابتسامة الغاربة مرآةً لانقباض الوجود الإنساني حين يحاصره القلق، محولًا الحيز المنزلي الضيق إلى مسرح مأساوي يختزل فجيعة جيل كامل.

المطلب الخامس: مدينة غزة رمز للتعبير عن الواقع المادي

لا شك أن تتبع تفاصيل المكان يسهم بالضرورة في استكناه حياة الشخصيات، ويسهم أيضًا في الكشف عن أهوال الحرب، كما في حديث الروائية عن الخيام وأحوالها في مدينة غزة فتقول: «الساعة الحادية عشر صباحًا، ضجيج يملأ الخيام، ازدحام في الطرقات، أطفال يتراشقون المياه الراكدة بين أزقة الخيام، قمامة مترامية الأطراف، دخان أفران الخبز تعلو فوق السحب، شمس خجولة تطل على الثكالى، برد يلدغ أطراف العجائز، وسيارات الإسعاف تدوي، فالقصف على أشده في المنطقة الصناعية وقرابة مشفى الأوروبي في محافظة خان يونس ومنطقة الهلال» (المدهون، 2025، صفحة 158). يتميز المقطع السابق برسمه لوحة إنسانية قاتمة واقعية لغزة تحت القصف، حيث تذوب الحدود بين الحياة اليومية والحرب، وتحول التفاصيل (كالخبز، اللعب، الشمس) إلى إشارات إلى الصراع والبقاء.

إن رواية "غزة قيامة نوح" تعد حالة مغايرة؛ كونها مسرحا للحرب وجزءا مهما في توصيف أهوال الحرب وآثارها المتعددة على سكان غزة، وعليه يرسم النص لوحة شديدة القتامة لواقع النزوح، حيث تتزاحم الحواس في فضاء جغرافي ضيق ومتأزّم؛ فثَمّ صراع حسي بين (دخان الأفران) الذي يغالب السحب، و(الشمس الخجولة) التي تعجز عن منح الدفء، ما يعكس انكسار الطبيعة أمام وطأة المعاناة.

يعتمد السرد هنا على (المفارقة التصويرية)؛ إذ يدمج بين حيوية الأطفال العبثية (التراشق بالمياه الراكدة) وقسوةِ البيئة (القمامة، البرد، لدغ الأطراف)، ليبرز قدرة الإنسان على اجتراح الحياة من قلب التحلل. ومع تصاعد التوتر الدرامي، يقتحم صوت (سيارات الإسعاف) المشهد ليقطع سياق الضجيج اليومي، محولاً النص من (وصف جمالي) للمكان إلى (حركة ديناميكية) ترهص بالموت.

إن ذكر (محافظة خان يونس) و(مشفى الأوروبي) يمنح النص صبغته الوثائقية، محولًا الخيمة من مجرد مأوى مؤقت إلى (شاهد عيان) على صراع الوجود بين برودة الواقع المادي وحرارة القصف الميداني. وبهذا، فإن المكان في رواية غزة قيامة نوح يؤدي وظيفتين: الأولى تفسيرية، فوصف المكان بأدق تفاصيله وعلى اختلاف امتداده في الرواية يكشف عن الآثار التي خلفتها الحرب، وعن العدوانية المفرطة التي مارسها العدو في حق العزّل في مدينة غزة، وعن الحالة النفسية والاجتماعية والثقافية التي تولدت عن الحرب، أما الوظيفة الثانية فتكمن في مشاركة المتلقي الأحداث، وإحالة الشعور إليه ليخيل له أنه يعيش ويلات الحرب على غزة، فيشعر بدمارها وآلامها وأوجاعها.

لقد جعلت المدهون المكان صورة ناطقة تتحدث عن تفاصيل الحرب، وتحكي بلسان الناس في القطاع، ومركزًا رئيسًا تدور حوله أحداث الرواية.

المبحث الثالث: مدينة غزة رمز للأمل والحلم

للمكان دور كبير في العمل الروائي، سواء على السطور داخل المتن أو مجسمًا على أرض الواقع عبر الفن الدرامي، وقد شكل المكان المتمثل في مدينة غزة في رواية غزة قيامة نوح رمزا للأمل والحلم، وفي هذا المبحث ستتناول الباحثة مدينة غزة رمز الأمل والحلم، وقد اقتضت طبيعة المبحث تقسيمه إلى ثلاثة مطالب، فجاء على النحو الآتي:

المطلب الأول: مدينة غزة رمز للحب

لقد شغلت المدينة حيزًا كبيرًا من الرواية؛ كونها تحمل رسالة الكاتبة ورؤيتها الفكرية من الحرب، لذا فإن الكاتبة ركزت كثيرا على حضور مدينة غزة بأشكالها المختلفة، فرسمت صورتها خلال الحرب ومجرياتها، تقول واصفة مشاعر الحب بين سهر ومهران: «سهر بغنج ودلال: وماذا بعد أيها اليوسف الذي شغفني حبًا؟!!! ضحك مهران واقترب منها وراح يحدق في عينيها وقد علت الابتسامة على وجنتيها» (المدهون، 2025، الصفحات 47-48).

أتت المدهون على ذكر مدينة غزة بوصفها رمزًا للحب، من خلال الحوار الدائر بين سهر ومهران، فقد شكلت المدينة في فكر الكاتبة رسالة الحب التي يحملها سكان غزة رغم كل ما كابدوه من ويلات الحرب والموت والدمار والخراب ليقولوا للعالم أجمع: نحن شعب يعشق الحياة كما يعشق عدونا الموت، نبحث عن الحب كما يبحث عدونا عن الفناء، نحن شعب نحمل في يدنا اليمنى السلاح مدافعين عن أرضنا وعرضنا وفي يدنا اليسرى قلوبنا العاشقة. فمهران أحد رجال المقاومة، وسهر زوجته وحبيبته يمثلان صورة الحب الذي ترمز له مدينة غزة كما في المقطع السابق وغيره من المقاطع التي جاءت لتخدم فكرة الكاتبة ورسالتها للعالم.

يستثمر النص آليات (التناص الرمزي) عبر استحضار الأيقونة اليوسفية (يوسف عليه السلام)، ليُخرج لحظة الغزل من سياقها العابر إلى فضاء العشق الصوفي الصادق المكتنز بالدهشة. تتجلى في المقطع (جماليات المشهدية الرومانسية) من خلال المقابلة بين (غنج ودلال سهر) وبين (تحديق مهران)؛ وهي مقابلة بصرية تعتمد على لغة العيون بوصفها نافذة للبوح الفلسفي لا العاطفي حسب.

إن استخدام تعبير (شغفني حبًا) يمنح النص ثقلًا تراثيًا يعيد إنتاج قصة الحب الأسطورية في قالب عصري، حيث تتحول الابتسامة هنا إلى (عتبة ضوئية) تكسر ظلمة الواقع الخارجي (الذي أشارت إليه المقاطع السابقة). كما يبرز النص قدرة الذات الإنسانية على خلق (يوتوبيا عاطفية) خاصة، تقتنص الفرح من شقوق الألم، وتجعل من الحوار الثنائي ملاذًا أخيرًا للهوية الفردية في مواجهة التلاشي الجمعي.

المطلب الثاني: مدينة غزة رمز للحياة

غزة لن تموت، غزة بكافة أطيافها تخرج من تحت الركام تبحث عن الحياة، وهذه الصورة ظهرت جليًا في الرواية وكثيرًا ما تحدثت الكاتبة في ثناياها عن الحياة في غزة، مثل وصفها حالة عمر، ذلك الطفل الذي خرج من تحت الركام، في قسم الطوارئ في مستشفى الشفاء يستغيث طلبًا للنجاة: «ألم تسمع شيئًا؟ ردّ أبو سالم على سؤال الطبيب بسؤال: صوت ماذا؟ أين؟!! أجاب الطبيب: هنا في غرفة جبر الكسور، تعال معي، توجها إلى الغرفة، أصبح الصوت أكثر وضوحًا، شعرا ببعض الأمل، شعرا أن الحياة لم تتوقف، ولن تتوقف ما دام هناك صوت ينهض كطائر الفينيق من تحت جمر الموت، ارتجف الطبيب فرحًا وحزنًا، ساعده أبو سالم ورفعا الجدار، فإذا بطفل لم يتجاوز العاشرة من عمره يستصرخ ويستنجد وقد غطته الدماء من رأسه حتى أخمص قدمه... ما اسمك؟ عمر، التفت أبو سالم للطبيب وقال: إنه الناجي الوحيد ليكون شاهدًا على الموت وجرائمه، نجا ليحمل رسالة إلى التاريخ على امتداد الصراع مع العدو، نجا ليقول للعالم أجمع إن الحياة على هذه الأرض لن تموت» (المدهون، 2025، الصفحات 110-111).

اتكأت الكاتبة على وصف مدينة غزة التي ترمز إلى الحياة رغم كل الدمار والخراب الذي حل بها، إن هذا الوصف يحمل دلالات كثيرة مفادها أن الحياة في مدينة غزة تولد من بين ركام الموت، وأن البحث عن الحياة هو الخيار الأول لسكان المدينة، ويؤكد على أن الكاتبة التي عاشت الموت تحلم بالحياة وتبحث عنها بين زقاق المدينة وشوارعها ومرافقها المهدمة، وتحت أنقاض الخراب لتقول للعالم أجمع نحن هنا وإن تكالبت علينا آلة الموت، وإننا نحب الحياة ونحن الأحق بها، وإن الحياة على أرض مدينة غزة لن تموت.

يُشيد النص بنيته الدرامية على (مفارقة الانبعاث) من حيز الموت (غرفة جبر الكسور)، حيث يتحول (الصوت) من مجرد ذبذبة فيزيائية إلى (أيقونة فينيقية) تُعلن تغلُّب الوجود على العدم. تتجلى في المقطع بلاغة (الناجي الشاهد)، فلا يبرز الطفل (عمر) ضحية حسب، بل (نصا تاريخيًا) حيًّا، خُطّت حروفه بالدماء ليكون حجةً على العصر. كما يعتمد التحليل السردي هنا على (تضاد المشاعر) - (فرح الطبيب وحزنه)، ما يعكس حالة التمزق الوجداني أمام معجزة البقاء.

إن تسمية الطفل بـ(عمر) تحمل دلالة رمزية مكثفة تشير إلى (العُمْر) والامتداد، وتحوله إلى (رسالة سياسية وجودية) تتجاوز حدود اللحظة لتصبح صرخة كونية في وجه الجريمة. ويختتم النص رؤيته بتحويل (النجاة) من صدفة قدرية إلى (وظيفة نضالية)، مؤكدًا أن الحياة في هذا السياق ليست بيولوجيا فقط، بل هي فعل إرادة يتحدى المحو التاريخي.

المطلب الثالث: مدينة غزة رمز للصبر والصمود

شكلت مدينة غزة صورة الصمود والصبر على الابتلاءات، وقد ظهر ذلك جليًا في حديث الروائية عن آلاء التي أصيبت بمرض السرطان، ومع ذلك لبست الصبر ثوبًا، وأبدت الصمود والثبات والتسليم لقضاء الله وقدره، تقول المدهون موجهة رسالتها إلى العالم: «عزيزتي سهر: ها هو الموت يتجاوزنا ليلتقي بنا في مكان آخر، وبصورة أخرى، ها هو يتزين كعروس مغناج على ثغر زهرة ثملة، يرتدي أبهى حلة، إنها حلة الثبات والصبر على قضاء الله وقدره، على مدار تسعة أشهر والآلام تلوكني، لم تعد فرصة إلا واستغلتها لتنهش ما تبقى من جسدي، لكن رغم كل ما أقاسيه من ألم وأوجاع هيهات هيهات، هيهات لها أن تنال من عزيمتي أو تضعف من إيماني، إنها مشيئة الله التي اخترتني لأكون أقرب إلى الله، إنه تكريم لا يحظى به إلا من اصطفاه الله على غيره من عباده، وإني لأرجو لأن أكون من أصفيائه» (المدهون، 2025، صفحة 112). لقد سعت المدهون إلى رسم صورة الصبر والصمود، الصبر على المرض والفقد والموت، والصمود أمام آلة الحرب المتعددة وطاعون الموت المتنوع الذي اجتاح المدينة بعد السابع من أكتوبر، لقد أثبتت الكاتبة أن أبناء غزة على اختلاف مشاربهم وتنوع ثقافتهم وتعدد توجهاتهم صامدون يواجهون الحرب والموت بالصبر والثبات. إنها لمعجزة أن يعيش الإنسان وسط الموت يواجه الحرب والمرض بكل ثبات وصمود وصبر، وهذا ما حدث ويحدث في مدينة غزة التي ما كانت إلا رمزًا للصبر والصمود والاصطبار على الفجائع بشتى أنواعها.

يرتقي النص بالمعاناة من حيزها المادي إلى أفق صوفي استعلائي، حيث يُعيد صياغة مفهوم (الموت) عبر (أنسنةٍ) مغايرة؛ فيتحول من كائن مفزع إلى (عروس مغناج)، في مفارقة تصويرية مذهلة تدمج بين الرهبة والجمال. يعتمد النص على (بنية الصراع) بين نهش الآلام للجسد وصلابة الروح، مستخدمًا تكرار (هيهات) كأداة إيقاعية لتعزيز فعل الرفض والامتناع الوجداني. ويتجلى في الخطاب (الوعي بالاصطفاء)، حيث تتحول الأوجاع من عقوبة إلى (تكريم إلهي)، ما يمنح الذات الساردة قدرة على الرضا بالقدر وتحويل الانكسار الجسدي إلى انتصار إيماني. إن الرسالة الموجهة إلى (سهر) ليست مجرد بوح عاطفي، بل هي (وثيقة ثبات) تعلن تفوق الروح على المادة، وتجعل من الموت بوابة للعبور نحو (الجمال المطلق)، محولةً المأساة البشرية إلى ملحمة نورانية من الرضا والتسليم.

المطلب الرابع: مدينة غزة رمز المقاومة

قدمت المدهون صورة مدينة غزة بدلالات متعددة تبين لنا جرائم العدو وعدوانيته التي طالت الحجر والشجر قبل البشر، وها هي تقدم لنا صورة جديدة من صور هذه المدينة، إنها صورة المقاومة واستبسال رجالها في التصدي للعدو وآلته الهادرة، تقول الكاتبة في وصف مشهد من مشاهد المقاومة في مدينة غزة، تصور من خلاله مدينة غزة رمزًا للمقاومة والتصدي للعدو: «سعد أنت ستقتحم شارع الصناعة وتزرع العبوات على امتداد الطريق، وعليك أن تنتبه أن نجاح العملية يعتمد على مدى نجاحك في التخفي قدر المستطاع، في حين سأتولى أنا ومن معي مسؤولية تأمينكم من الخلف علاوة على تفخيخ العمارة، ثم نستدرجهم من خلال اشتباك وهمي وعندما تحين لحظة الصفر تفجر العمارة بمن فيها... غطست أقدام الرجال في ظلمة الليل البهيم، مضوا لا يميزهم عن العدو سوى العقيدة والإيمان بعد أن صلوا قيام الليل واستعانوا بالله يبتغون الشهادة ثابتين، مضوا بعد أن ارتدوا البزات العسكرية حيث وجهتهم حاملين أرواحهم وأحلامهم على فوهة القنابل والعبوات ضاربين بالموت عرض الحائط ينظرون إلى الجنان وقد ملأ الإيمان جوفهم فأشبعهم رغم الجوع الذي مزق أمعاءهم... إنها حرب شمطاء لكننا رجال الله، قالها مهران وهو الذي لم تعد الأرض تتسع لفرحته ولم تعد تحمله، لقد صدقوا الله فصدقهم» (المدهون، 2025، الصفحات 207-210).

ينتقل النص من حيز (المأساة/ الضحية) إلى فضاء (الفعل/ الإرادة)، حيث تتشكل البنية السردية عبر (ثنائية التخطيط واليقين)؛ فالمقطع يزاوج بين الصرامة العسكرية في (شارع الصناعة ولحظة الصفر)، والروحانية المتعالية في (قيام الليل وابتغاء الشهادة). يتجلى الصراع هنا كصدامٍ وجودي لا مادي حسب، حيث تبرز (البزة العسكرية) بكونها معادلا موضوعيا للهوية، وتتحول (أمعاء الرجال الخاوية) إلى مصدر قوة لا موطن ضعف، في مفارقة تعيد تعريف (الجوع) بوصفه زادًا روحيًا. يعتمد النص على (جماليات الاندفاع نحو الغيب)، إذ تصبح الأحلام محمولة على (فوهة القنابل)، ويغدو الموت مجرد تفصيل عابر أمام (اتساع الفرحة) بلقاء الله. إن عبارة (رجال الله) تعمل كخاتمة أيقونية تلخص (أدب الملحمة)، حيث يتماهى المقاتل مع الأرض والعقيدة، ليتحول (مهران) من مجرد قائد ميداني إلى رمز للتصديق المطلق، مُحوّلاً الحرب من (شمطاء) مدمرة إلى بوابة للعبور نحو الجنان.

ويتضح مما سبق أن مدينة غزة بمكوناتها المتعددة كانت حاضرة في الرواية ومركز دورانها، فيشكل المكان بتعدده ورمزيته دلالات قاطعة على احتفاء الكاتبة بمدينة غزة وأبعادها الخاصة والمتنوعة التي زخرت بها الرواية، حتى ليخيل للقارئ أن مدينة غزة هي الشخصية الحاضرة داخل الرواية، كما تنقل الأماكن المتعددة صورة حية ناطقة لجرائم العدو الصهيوني وأهوال الحرب وما خلفته من موت ودمار وخراب، وصورة مدينة غزة بعد السابع من أكتوبر من العام 2023.

المبحث الرابع: تقاطبات المكان في رواية "غزة قيامة نوح"

دارت أحداث الرواية حول الحرب على مدينة غزة، حيث يوجد العديد من الصعوبات والتحديات خلال فترة الحرب ومنحنياتها المتعددة التي واجهها سكان المدينة، فكان النازح، والمريض، وكان الشارع، وغير ذلك من الأماكن التي عكست صورة الحرب ومعاناتها وويلاتها وما ارتكبه العدو من جرائم ضد سكان مدينة غزة بأماكنها المتعددة، ومع ذلك كان هناك الحياة والحب والأمل والحلم، وكان أيضًا الوطن والصمود والمقاومة، وفي هذا المبحث ستتناول الباحثة تقاطبات المكان في رواية غزة قيامة نوح على النحو الآتي:

المطلب الأول: المكان المفتوح

ونقلًا عن (علي، 2023م، صفحة 631) **الأماكن** المفتوحة هي التي تكون منفتحة عامة أو خاصة، وتتجاوز كل ما هو محدد أو مقيد نحو التحرر والاتساع، وتتميز بالطلق والحرية وتقضي الشعور بالعزلة، فالأماكن المفتوحة توفر للشخصيات الحرية والتحرر الأوسع والأعمق، وتسهم في تطور الأحداث بطرق تعكس متغيرات الزمن والأحداث ما يعزز أثر الرواية على المتلقي، فالأماكن أداة فنية حاضرة بقوة في الرواية، ما يقوي المعاني والرموز، ويدفع بعجلة تطور الأحداث والشخصيات، وهي جزء رئيس ومحور ارتكاز متين في بناء العمل الفني، فالرواية توضح كيف شكلت البيوت والمشافي والخيام ومراكز الإيواء والبحر خلفية متينة للأحداث التي عاشها القطاع وساكنوه، ومن الأماكن المفتوحة في رواية غزة قيامة نوح التي ترسم ألوان الحياة:

صورة البحر: لقد مثل البحر في الرواية ثنائية متناقضة الدلالات، فالبحر بديع ذو أمواج متراقصة، نحو قولها: «عند الساعة الرابعة جلست سهر تراقب الشمس التي كانت تسدل ضفائرها الصفراء في مشهد بديع، والبحر ذو الأمواج المتراقصة على أنغام النسائم» (المدهون، 2025، صفحة 206). يستحضر النص (بلاغة التشكيل البصري) عبر أنسنة الطبيعة (ضفائر الشمس، تراقص الأمواج)، ليخلق (يوتوبيا مكانية) تمنح الشخصية (سهر) فرصة للانسلاخ عن قتامة الواقع. فالمشهد لا يقف عند حدود الوصف الجمالي، بل يعمل كـ(ملاذ أنطولوجي) يستبدل بضجيج الحرب أنغام النسائم، محولاً الطبيعة إلى شريك وجداني يعيد ترميم الذات وانكساراتها أمام عظمة الكون، فالبحر المتراقص هو ذاته البحر الغاضب الذي لا يهدأ، نحو قولها: «في الزاوية الغربية لمركز الإيواء حيث يرى الناظر منها البحر بدت الحياة على وشك الانهيار، والبحر لا يهدأ» (المدهون، 2025، صفحة 129)، فمن خلال الأماكن متعددة المعاني والدلالات ترسم لنا المدهون صورة معقدة وغنية بالأحداث والتناقضات، فالأماكن التي تحمل صورة الموت هي ذاتها التي تحمل صورة الحياة.

يُكرس النص (سيميولوجيا الحصار) عبر رصد التضاد بين سكونية (مركز الإيواء) وحركية (البحر)؛ فبينما تبدو الحياة في الزاوية الغربية (على وشك الانهيار)، إشارةً لتآكل الوجود الإنساني، يبرز البحر بفيضه الذي (لا يهدأ)، رمزا للانهاية واللامبالاة الكونية تجاه الوجع البشري. إن هذه المقابلة

المكانية تحول البحر من مشهد جمالي إلى (معادل موضوعي) للقلق، حيث يغدو اضطراب أمواجه صدىً لارتجاف المصير الإنساني المحاصر بين الجدران الضيقة لمركز اللجوء واتساع الأفق المستعصي على الامتلاك.

صورة الشارع: كان للشارع حضوره الكبير في الرواية، فقد ورد في كثير من أحداث الرواية، وذلك عند حديثها عن حالة (خيري) وهو في طريقه لبيته في شارع حميد في مدينة غزة فتقول: «خيري يقترب من شارع النصر متجهًا إلى شارع حميد حيث يسكن، لم يستطع التعرف على ملامح الشارع من هول ما أصابه من دمار، فالبيوت دُمرت بالكامل، ورائحة الموت تعبق المكان، يحاول الاقتراب شيئًا فشيئًا، صوت أزيز طائرات الاستطلاع لا يرحم سمعه» (المدهون، 2025، صفحة 72). يُكثّف النص تجربة (الاغتراب في الوطن) عبر رحلة (خيري) الذي يعجز عن استعادة ملامح مكانه الأليف بفعل (هول المحو)؛ حيث تتآزر الحواس (رائحة الموت، وأزيز الطائرات) لترسيخ ضياع الهوية المكانية. إن تحول البيت من (سكن) إلى (ركام مجهول) يعكس صدمة الوعي أمام دمار يتجاوز المادة ليطول الذاكرة، محولًا المسافة نحو المنزل إلى عبورٍ قلق في فراغٍ جنائزي يسلبه الانتماء.

المطلب الثاني: المكان المغلق

يلعب المكان المغلق دورًا ذا أهمية بالغة في مجريات الأحداث والشخصيات والزمان، ويفسر العمل ويسهم في الفهم العميق، سواء على مستوى الأحداث أو مستوى القراءة، فالمكان المغلق يمثل الحيز الذي يحتوي الأحداث ضمن حدود مكانية تعزله عن العالم الخارجي، ما يجعل محيطه أضيق من المكان المفتوح بكثير. (مشاري، 1441هـ، الصفحات 114-115)، والمتأمل للأماكن المغلقة في رواية غزة قيامة نوح يلحظ دورها المهم في سبر أغوار الرواية، تذكر الباحثة منها الآتي:

صورة الخيمة: «قالت وهي ترتب باحة الخيمة التي لا تتجاوز الثلاثة أمتار طولاً، وثلاثة أمتار عرضًا، وارتفاع متر ونصف، نتألم ونحترق ليعيش الآخر بسلام، لكن حتمًا سنبرأ من الداخل، نصبو إلى حياة هانئة أسوة بغيرنا من شعوب الأرض، ردّ عليها أبو سالم، فيما ظلت سهر تبكي بصمت» (المدهون، 2025، صفحة 147). يختزل النص (مفارقة الحيز والوجود) عبر هندسة الخيمة الضيقة، حيث تتحول هذه المساحة الخانقة إلى منطلق لخطاب إنساني كوني؛ فالمقايضة التي تطرحها المرأة (نتألم ليعيش الآخر) تمثل ذروة (الاستعلاء الأخلاقي) على الجرح الشخصي. يبرز النص ثنائية (الاحتراق الداخلي/ الصبو للحياة) كفعل تطهير يتجاوز حدود الحصار المادي، بينما يأتي بكاء سهر الصامت ليعادل بلاغة القول، معلنًا أن الحق في (الحياة الهانئة) ليس مجرد مطلب سياسي، بل هو صرخة وجودية تضع إنسانية العالم بأسره على المحك.

صورة البيت: لا رواية بلا بيت يمثّل جزءًا رئيسًا من أجزاء المكان منها؛ ذلك أن الشخصيات لا بدّ لها من بيت تسكنه وتستقر فيه (الحازمي، 1437هـ، 2016م، صفحة 318). وفي رواية غزة قيامة نوح للمدهون يحضر البيت بشكل يؤثر في مجريات الأحداث، فالبيت الذي يمثل الأمان والاستقرار يظهر في الرواية على خلاف ذلك، فهو مصدر للموت والخوف والألم، كما في حديثها عن مشاهد الحرب في بيت صهيب: «سقط الصاروخ في شقتهم فاخترقها وحرق كل ما فيها، بعض شظاياه تناثرت فسقطت في الشارع فأصابت من سقطت عليه وبعضها ظل في الشقة، توالت الانفجارات، الشظايا لم ترحم أحدًا، لقد كانت تخترق أجساد الناس فتمزقها إربًا، وإن لم تفعل كانت تحرقها أو تترك أثرا سيبقى خالدًا في صفحات الذكريات... استيقظ صهيب، سمع أصوات هرج ومرج على الدرج وخطوات وتدافع أقدام، تلفت حوله محاولة لفهم ما يحدث، كانت الشقة قد تغيرت ملامحها، واختلط عليه الحابل بالنابل، وامتزج الشاي بالدم، والمعمول بالأشلاء، كانت الدماء قد شكلت مسبحًا صغيرًا في أرجاء أرضية الشقة» (المدهون، 2025، صفحة 229). يصور النص :ديناميكية المحو الصاعق" عبر اختراق الصاروخ لخصوصية "الشقة"، محولًا الحيز الآمن إلى محرقة تتداخل فيها الشظايا بالأجساد والذكريات. تتجلى سريالية الفجيعة في لحظة استيقاظ "صهيب"؛ فـ"اختلاط الحابل بالنابل" وامتزاج "الشاي بالدماء" ليس مجرد وصفٍ مادي، بل هو "انفجار للنسق اليومي" الذي جعل أدوات الحياة الحميمة "الشاي" تختلط بأدوات الموت العنيف. يعكس النص صدمة الوعي أمام "تبدل الملامح"، حيث يغدو الحطام لغةً بديلة تفرض أثرها "الخالد" في الذاكرة، محولًا الجسد والمكان إلى صفحة مفتوحة على تدوين الجريمة وصدمة الوجود.

البيت في الرواية يقدم دلالة الخوف والموت والدمار، فوصف تفاصيل البيوت فيها يدلّ على عدم توافق مضامينها مع الشخصيات. لقد جاءت في الرواية على عكس المألوف، فالبيت الذي يمثل -أصلًا- السكينة والراحة والاستقرار والخصوصية، ها هو على النقيض تماما في الرواية، رمز الوحشية والعنجهية وغطرسة العدو وما خلفته الحرب من موت ودمار وخراب. لقد قدمت المدهون صورة البيت بدلالات متعددة تبين لنا جرائم العدو وعدوانيته التي طالت حجارته وأعمدته قبل أُناسه.

ويتضح مما سبق أن تقاطب الأماكن المفتوحة والمغلقة كان حاضرًا في الرواية، فيشكل المكان بتعدده ورمزيته دلالات قاطعة على احتفاء الكاتبة بالتقاطبات المكانية وأبعادها الخاصة والمتنوعة التي زخرت بها الرواية، حتى غدا المكان شخصية حاضرة ومحاكمة للشخصيات بحركاتها داخل الرواية، كما تنقل الأماكن المتعددة صورة حية ناطقة لجرائم العدو الصهيوني وأهوال الحرب وما خلّفته في قطاع غزة من موت وهدم وهلاك بعد السابع من أكتوبر من العام 2023.

الخاتمة:

سعت هذه الدراسة إلى تحليل التناقضات الكامنة في تصوير المدينة بين المعاناة والضياع، وقد خلصت إلى الآتي:

- الاحتفاء الكبير من قبل المدهون بمدينة غزة ما أسهم في بناء الرواية؛ كونها تمثل محور الصراع في الرواية.
- أن مدينة غزة في رواية غزة قيامة نوح ليست مجرد خلفية جغرافية، وإنما هي كائن حي ومسرح للعديد من الأحداث، تتسم بالديناميكية والتغير المستمر.

- لعب وصف المدينة دورا مهما ورئيسا في الكشف عن تنوعها الثقافي والنفسي والاجتماعي وغير ذلك.
- تنوعت رمزية المدينة في الرواية بين المتناقضات فكانت هي الموت والحياة، والأمل والألم، وكانت الحزن والفرح، والخوف والسكينة.
- شكلت صورة مدينة غزة رسالة أدبية تعبر عن فكر الكاتبة ورؤيته للمدينة والحرب، وكانت رسالة للعالم بأن مدينة غزة تشكل الوطن لسكان غزة رغم كل الموت الذي عاشوه.
- رسم المكان بصوره المتعددة والمختلفة لوحة حية ناطقة بجرائم العدو الصهيوني وأهوال الحرب وما خلفته من موت ودمار وخراب طال الحجر والبشر.
- شكلت صورة مدينة غزة في فكر الكاتبة صورة الوطن الذي لا يموت، وصورة الهوية الفلسطينية.
- بينت الدراسة العلاقة الوطيدة بين المكان وبقية عناصر الرواية، ما جعل المكان مركز دوران الأحداث ينصهر ببقية عناصر الرواية فيؤثر فيها ويتأثر بها.
- شيّدت الكاتبة بنيانًا سرديًا للمقاومة الوجودية؛ حيث تلتقي فيها فجيعة المحو (دمار الشاشة والمكان) بقداسة البقاء (رائحة الكعك وصوت الناجي عمر). لقد نجح النص في تحويل (الفجيعة) من حدث فيزيائي عابر إلى (شهادة أنطولوجية) تعيد صياغة الموت بوصفه بوابة للعبور، والحب بوصفه ملجأً أخيرًا. إن امتزاج اليومي (كالشاي) بالمأساوي (كالدم) داخل حيز الخيمة الضيق، يبرهن على أن الذات الإنسانية في هذه التجربة لم تكتفِ بوصف الانهيار، بل اجترحت من ركامه لغةً استعلائية ترفض الفناء وتُوصل للحق في الحياة، لتظل اللغة هي الحصن الأخير في مواجهة محاولات التغييب التاريخي.

المراجع:

أولًا: المصادر

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
- المدهون، نسرين شحدة. (2025). *غزة قيامة نوح*. ط1، دار رؤيا للنشر.

ثانيًا: المراجع العربية

ابن منظور، محمد بن مكرم. (د.ت). لسان العرب .تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف.

بحراوي، حسن. (2009). *بنية الشكل الروائي، الفضاء، الزمان، الشخصيات* .ط2، دار المركز الثقافي العربي.

بوعزة، محمد. (2010). تحليل النص السردي، تقنيات ومفاهيم .ط1. دار الإيمان.

الحازمي، حسن حجاب. (2016). *البناء الفني في الرواية* .ط2، دار النابغة للنشر والتوزيع.

عاشور، عمر. (2010). *البنية السردية عند الطيب الصالح، البنية الزمنية والمكانية في موسم الهجرة إلى الشمال*. دار هوية للطباعة والنشر.

عثمان، بدوي. (1986). *بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ* .ط1، دار الحداثة.

علي، شيماء محمد. (2023). دراسة المكان في روايات أيمن العتوم، رواية أنا يوسف أنموذجا. *مجلة الكلية الإسلامية الجامعة*، إيران، العدد 72، جزء 1 - قسم اللغة العربية، جامعة مازندان.

قاسم، سيزا. (2006). *بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ*. سلسلة إبداع المرأة، وزارة الثقافة والإعلام.

لحميداني، حميد. (1991). *بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي*. ط1، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع.

مرتاض، عبد الملك. (1998). *في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد* .المجلد 1، عالم المعرفة.

مشاري، مزينة يحيى. (1441هـ). جماليات المكان في أعمال عمرو العامر السردية .ط1، دار النابغة للنشر والتوزيع.

النصير، ياسين. (1980). *الرواية والمكان*. دار الشؤون الثقافية العامة.

ثالثًا: ترجمة المراجع العربية

Al-Ḥāzimī, Ḥ. Ḥ. (2016). *Al-binā' al-fannī fī al-riwāyah (The artistic structure of the novel)* (2nd ed.). Dār al-Nābighah.

ʿAlī, Sh. M. (2023). The study of place in the novels of Ayman al-ʿUtūm: *I Am Joseph* as a model. *Journal of the Islamic University College*, 72(1), Department of Arabic Language, University of Mazandaran.

Al-Naṣīr, Y. (1980). *Al-riwāyah wa-al-makān (The novel and place)*. Dār al-Shuʾūn al-Thaqāfiyyah.

ʿĀshūr, ʿU. (2010). *Al-binyah al-sardiyyah ʿinda al-Ṭayyib Ṣālih: al-binyah al-zamāniyyah wa-al-makāniyyah fī Mawsim al-hijrah ilā al-shamāl (The narrative structure in the works of al-Tayyib Salih: Temporal and spatial structure in Season of Migration to the North)*. Dār Huwiyyah.

Baḥrāwī, Ḥ. (2009). *Binyat al-shakl al-riwā'ī: al-faḍā', al-zamān, al-shakhṣiyyāt (The structure of the novelistic form: Space, time, and characters)* (2nd ed.). Arab Cultural Center.

Būʿazzah, M. (2010). *Taḥlīl al-naṣṣ al-sardī: Taqniyyāt wa-mafāhīm (Narrative text analysis: Techniques and concepts)* (1st ed.). Dār al-Īmān.

Ibn Manẓūr, M. b. Mukarram. (n.d.). *Lisān al-ʿArab (The tongue of the Arabs)* (ʿA. ʿA. al-Kabīr et al., Eds.). Dār al-Maʿārif.

Laḥmīdānī, Ḥ. (1991). *Binyat al-naṣṣ al-sardī min manẓūr al-naqd al-adabī (The structure of the narrative text from a literary critical perspective)* (1st ed.). Arab Cultural Center.

Mashārī, M. Y. (1441 AH). *Jamāliyyāt al-makān fī aʿmāl ʿAmrū al-ʿĀmir al-sardiyyah (The aesthetics of place in the narrative works of Amr al-ʿĀmir)* (1st ed.). Dār al-Nābighah.

Murtāḍ, ʿA. al-Malik. (1998). *Fī naẓariyyat al-riwāyah: Baḥth fī taqniyyāt al-sard (On the theory of the novel: A study of narrative techniques)* (Vol. 1). ʿĀlam al-Maʿrifah.

Qāsim, S. (2006). *Bināʾ al-riwāyah: Dirāsah muqāranah fī thulāthiyyat Najīb Maḥfūẓ (The construction of the novel: A comparative study of Naguib Mahfouz's trilogy).* Ministry of Culture and Information.

ʿUthmān, B. (1986). *Bināʾ al-shakhṣiyyah al-raʾīsiyyah fī riwāyāt Najīb Maḥfūẓ (The construction of the main character in the novels of Naguib Mahfouz)* (1st ed.). Dār al-Ḥadāthah.